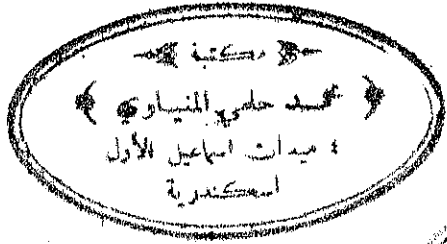
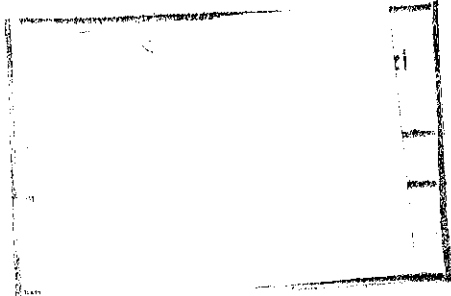


عباس محمود العقاد



عبد الله بن عبد المطلب



مكتبة الاستقامة بالقاهرة

## مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الْأُولَى

تمَّ تأليف هذا الكتاب في أحوال عجيبة هي أحوال بأس وخطر . فلا غرابة بينها وبين موضوع الكتاب الذي أدرته عليه ؛ لأننا لا نتكلم عن عمر بن الخطاب إلا وجدنا أننا على مقربة من البأس ومن الخطر في آن .

فما شرعت في تحضيره وبدأت في الصفحات الأولى منه حتى رأيتني على سفر بغير أهبة إلى السودان . فوصلت إليه وليس معي من مراجع الكتاب إلا القليل ، وكانت الصفحات الأولى التي كتبتها في القاهرة بما تركته مع المراجع الكثيرة فيها ، فأعدت كتابتها في الخرطوم ومضيت فيه هنالك حتى انتهيت من أكبر شطريه . واستغنيت بمراجع الخرطوم عن المراجع التي أعجاني السفر عن نقلها ؛ لأن أدباء السودان وفضلاءه يدخرون جملة صالحة من هذه المراجع ، ويجودون بها أحياناً مبادرين إلى الجود ، فلا أذكر أنني طلبت كتاباً في المساء إلا كان عندي في بكرة الصباح .

الطبعة الرابعة

١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى - شارع محمد علي : مصر  
لصاحبها : مصطفى محمد

حقوق إعادة الطبع محفوظة لل المؤلف

Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Araştırmaları Merkezi Matbaası	
Demirbaş No:	29044
Tarih No:	1

وإني لأتوفر على كتابته وأحسبني منتهياً منه في السودان  
إذ رأيتني مرة أخرى على سفر بغير أهبة إلى القاهرة ، فعدت  
إليها بالطائرة أنفس العلاج السريع ، لأن يدي أوشكتنا أن تعجزا  
عن تناول القلم بما عراهما من تأليل « الخريف » .

فعدت وما يشغلني عن إتمامه شاغل في السفر والمقام ، ولم  
أحسب هذا البأس في الحالتين من موانعه وعراقيله ، لأنني ألفت  
بعض كتبي الكبار في أحوال تشبه هذه الأحوال . فألفت  
كتابي عن « ابن الرومي » بين السجن ونذره ومقدماته ، وألفت  
كتابي عن « سعد زغلول » وأنا غير مستريح من كفاحه ،  
وكلاهما من أثر الكتب عندي وأكبرها في الموضوع وفي  
عداد الصفحات .

إنما حسبت هذا البأس من مطابقاته وموافقاته ، ومن  
وضع الشيء في موضعه على نحو من الأنحاء ، ولم أعدده من  
حرج التأليف كما عدته من مهيآت جوه ، ولا سيما حين ألفتني  
أدرس آثار الحركة المهدية وأنقلب بين مشاهدتها وميادينها ،  
وأستخرج العبرة من القتال بين الراجلين والفيلة في مواقع

فارس ، ومن القتال بين الراجلين والسفن المسلحة في مواقع  
الخرطوم وأتم درمان . فهذه عقيدة وتلك عقيدة ، ولكن  
العقيدة التي ظفرت كان معها حليف من الغد المأمول ، ولم تكن  
العقيدة التي فشلت على وفاق مع الغد ولا مع الأمل .

ولكن الحرج كل الحرج في التأليف إنما كان في محاسبة  
عمر بن الخطاب ، أو ليس الحرج في الحساب أيضاً من  
العمريات المأثورات !

فالناس قد تعودوا بمن يسمونهم بالكتاب المنصفين أن  
يحبذوا وينقدوا وأن يقرنوا بين الثناء والملام ، وأن يسترسلوا  
في الحسنات بقدر لينقلبوا من كل حسنة إلى عيب يكافئها  
ويشفعوا كل فضيلة بنقيضة تعادلها ؛ فإن لم يفعلوا ذلك فهم  
إذن مظنة المغالاة والإعجاب المتحيز ، وهم إذن أقل من الكتاب  
المنصفين الذين يمدحون ويقدمون ، ولا يعجبون إلا وهم  
متحفزون للملام .

عرض لي هذا الخاطر فذكرت قصة العاهل الذي تحاكم إلى  
قاضيه مع بعض السوقة في عقار يختلفان على ملكه فحكم القاضي

للسوقة بغير الحق ليغتم سمعة العدل في محاسبة الملوك ، وعزله  
العاهل لأنه ظلم وهو يبتغي الرياء بظلمه . فكان أعدل عادل  
حين بدا كأنه يحرض على مال منصوب ويجور على تابع جسور...  
لأنه أنصف وهو مستهدف لتهمة الظلم ، وقاضيه قد ظلم وهو  
يتراعى بالإنصاف .

قلت لنفسى : إن كنت قد أفدت شيئاً من مصاحبة عمر  
ابن الخطاب في سيرته وأخباره فلا يجر جنك أن تزكى عماله  
كلما رأيتهم أهلاً للتزكية ، وإن زعم زاعم أنها المغالاة ، وإنه  
فرط الإعجاب .

وهذه هي الأسوة العمرية في الحساب .

فالحق أنى ما عرضت لمسألة من مسائله التي لخط بها الناقدون  
إلا وجدته على حجة ناهضة فيها . ولو أخطأه الصواب .  
وإن أعسر شيء أن تحاسب رجلاً كان أشد أعدائه  
لا يبلغون من عسر محاسبته ، بعض ما كان يبلغه هو في محاسبة  
نفسه ، وأحب الناس إليه .

ذلك رجل قل أن يجور عن القصد وهو عالم بجوره ، وقل

أن يتيح لأحد أن يكسب دعوى الإنصاف على حسابيه ، إلا أن  
يكسبها أيضاً على حساب الحق والتقد الأمين .

فإذا عرفت منحاه من الخلق والرأى ، وسلمت له مزاجه  
ووجهة تفكيره ، فكن على يقين أنه لن يتجافى عن النهج السوى  
ولن يتعلق بأمر يعدوه الصلاح ويشوبه السوء .

وذاك أخرج الخرج الذى عانته في نقد هذا الرجل العظيم  
وتلك حيلة معه إن لم يستفدها الكاتب وهو مشغول بعمر  
ونهج عمر فشغله عبث ذاهب في الهواه .

وعلم الله لو وجدت شططا في أعماله الكبار لكان أحب شيء  
إلى أن أحصيه وأطنب فيه وأنا ضامن بذلك أن أرضى الأثرة  
وأرضى الحقيقة ، ولكنى أقولها بعد تمحيص لا مزيد عليه في  
مقدورى : إن هذا الرجل العظيم أصعب من عرفت من عظام  
الرجال نقداً ومؤاخذاً ، ومن فريد مزاياه أن فرط التمحيص  
وفرط الإعجاب في الحكم له أو عليه يلتقيان .

وكتابتى هذا ليس بسيرة لعمر ولا بتاريخ لعصره على نمط  
التواريخ التي تقصد بها الحوادث والأنباء ، ولكنه وصف له

ودراسة لأطواره ودلالة على خصائص عظمته واستفادته من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة ، فلا قيمة للحادث التاريخي جل أودق إلا من حيث أفاد في هذه الدراسة ، ولا ينعنى صغر الحادث أن أقدمه بالأهتمام والتنويه على أضخم الحوادث ، إن كان أوفى تعريفاً بعمر وأصدق دلالة عليه .

وعمر بعدُ رجل المناسبة الحاضرة في العصر الذي نحن فيه ، لأنه العصر الذي عاشت فيه عبادة القوة الطاغية وزعم الهاتفون بدينها أن البأس والحق نقيضان . فإذا فهمنا عظيمًا واحدًا كعمر ابن الخطاب فقد هدمنا دين القوة الطاغية من أساسه ، لأننا سنفهم رجلاً كان غاية في البأس وغاية في العدل وغاية في الرحمة ... وفي هذا الفهم ترياق من داء العصر يشفي به من ليس بميؤس الشفاء .

وإنه لجهاد جديد لعمر بن الخطاب ، يطيب لنا أن

نوجزه في كتاب ؟

عباس محمود العقاد

عبثي